

فى بلاد الواق واق !! د معدوح المنير



الأربعاء 31 مارس 2010 12:03 م

31/03/2010

د / معدوح المنير :

فى بلاد الواق واق !! ، جلس الضابط محمود عزيز ، ينفس دخان سيجاره فى تلذذ و هو يراقب حلقات الدخان المتصاعد أمام عينه حتى تتلاشى أمام نسيمات الهواء البارد القادم من المكيف .

كان فى حالة إنتشاء و شعور طاعى بالنشوة بدت عليه و هو يرفع قدميه على حافة مكتبه ، و يؤرجح كرسيه الذى طالما حلم بالوصول إليه ، لم يكن يصدق أن تتم ترقيةه أخيرا و يصل إلى هذا المنصب الأمنى الرفيع .

أخذ يتطلع فى فاصل من أحلام اليقظة إلى حياته الجديدة إنه يومه الأول فى منصبه الجديد ، لقد إستعد له جيدا ، نظارات قاتمة اللون لإضفاء طابع من الغموض و الرهبة ، سيارة فارهة بزجاج فاميه لإضافة المزيد من الإثارة و الأهمية على رايكها ، نمر سوداء لتجنب إزعاج دوريات المرور ، طقم بدل جديدة تناسب أهمية منصبه الجديد .

فجأة وهو على هذا الحال رن جرس الهاتف بجواره فانتبه من احلامه و كاد يسقط من على مقعده الذى يؤرجحه ، التقط السماعة سريعا ، فإذا به رئيسه فى العمل يقول له (صباح الخير يا محمود ، مبسوط يا محمود ، شد حيلك عاوزك تكون نموذج مشرف ، إنت لسه مستقبلك قدامك) ، شعر محمود بسعادة غامرة تجتاحه من كلمات رئيسه و أخذ يشكره عليها و يقول له (إنا تحت أمر سعادتك ، إن شاء الله أرفع راسك أكثر ما هى مرفوعة ، ده شرف كبير لينا نشتغل تحت أمرك) إنتهى الحوار سريعا مع رئيسه ، لكن تأثير المكالمة كان طاعيا عليه ، كاد أن يقفز من على الأرض من شدة الفرح .

وهو فى هذه الحالة رن الهاتف مرة أخرى فجاءه صوت ضابط فى رتبة أقل يقول له (محمود بيه ، فى مظاهرة عملينها العيال بتوع المعارضة فى الميدان ضد الحكومة ، أوامر ؟) ، استشاط غضبا لإزعاجه بهذا الخبر الذى أخرجه من النشوة التى كان فيها ، لكنه تمالك نفسه و قال للضابط و هو يضيف على صوته لهجة و قورة تناسب مقامه الجديد (ابعت قوات مكافحة الشغب ، دلوقتى وامنعوهم من الحركة احسن عددهم يزيد ، بسرعة مش عاوز تضيع وقت ، و لو حد

من ولاد (....) زودها شوية اعتقلوه فورا ، و بلغنى بالتفاصيل أول بأول) .

شعر بقلق بالغ يعتريه ، و أخذ يكلم نفسه ، إنه يومه الأول فى منصبه الجديد ، و تحدث هذه المشكلة ، لا يمكن أن أفشل فى إدارة هذا الموضوع ، أخذ يقطع الحجرة ذهابا و إيابا ، طلب كوبا من القهوة ، سرعان ما جاءت ، أخذ يشرب السيجارة الواحدة تلو الأخرى ، و لم ينجح المكيف فى إخفاء الدخان الذى ملأ الغرفة ، لم يعد ينتظر أن يتصل بيه الضابط بل سارع هو للإتصال به ، سأله عن الجديد قال له الضابط مرتبكا (القوات) فى طريقها إلى المكان يا محمود بيه ، إنفجر فى وجهه قائلا ، القوات لا تزال فى الطريق ، و أخذ يسب و يلعن بشتائم و ألفاظ نابية أصبحت اعتيادية فى عالمه ، مستنكرا تأخر القوات فى الوصول للميدان ، رن جرس الهاتف الآخر فإذا به رئيسه فى العمل ، أفضل السماعة فى وجه الضابط ، و بدأ يحدث رئيسه فى ليونه ووداعه من جديد ، لكن لهجة رئيسه لم تتجواب مع و داعته و كان باديا عليه الجديدة و هو يقول (فيه ايه يا محمود فى تقارير وصلتنى إن فى مظاهرة فى الميدان من ساعة و لسه لم يتم السيطرة عليها ، إنت كده هتغير فكرتى عنك) شعر محمود بقلق و خوف هائل ، و هو يرد على رئيسه فى فزع و يرمى بالمسئولية على الضابط و القوات التى لا تزال فى الطريق (جاءه صوت رئيسه قاطعا كلامه) أول درس ليك و أتمنى ألا يكون الأخير كذلك !! ، نحن لا نقبل الأعذار أو المبررات إنا بنفكر بس فى النتائج و بنقّم على أساسها ، هاتصل بيك كمان شوية وشوفك عملت إيه) .

جن جنونه ، خرج من مكتبه مسرعا ، غير عابىء بمن يسلم عليه ، إستقل السيارة متوجها إلى الميدان ليشاهد الأمر على طبيعته ، كاد أن يصطدم بأكثر من سيارة و هو فى طريقه مضطرب القلب ، واجس النفس ، تجاوز كل إشارات المرور ، شاهد القوات و هى فى طريقها إلى الميدان ، إحمر وجه أكثر حتى تجاوز سيارت الأمن ووصل قبلهم إلى موقع المظاهرة ، كان المتظاهرين قد أنهوا وقفاتهم وانصرفوا ، فاستولى عليه الخوف ، ما الذى حدث ؟! ، هل إنتهت المظاهرة هكذا ببساطة دون تدخل من الأمن ؟ ، شعر بيبأس بالغ يستولى عليه ، ماذا سيقول لرئيسه ؟ ، المظاهرة إنتهت بدون ردع !! ، هل سيكون يومه الأول فى العمل هو يومه الأخير ؟! ، أخذت الأفكار السوداء تجتاحه و بينما هو على هذه الحالة ، إستيقظ شيطانه و قال له إنه مستقبلك ، جاهك ، سلطانك ، إياك أن تضيعهم ، فكر فى حل فأنت أذكى منى فى ذلك !!

أخذ ينظر من زجاج سيارته و هو يتلفت يمينا و يسرة يبحث عن حل ينقذ به مستقبله ، فإذا بفكرة شيطانية تلمع أمام عينيه ، خرج من السيارة مهرولا ، توجه إلى أحد سيارات الأجرة طلب من سائقها النزول ، عرف نفسه له ، شعر السائق بالخوف يجتاحه ، شعر محمود بالرضا من حالة الخوف التى أصابت السائق ، قال له فى لهجة مخيفة فزع لها السائق (أنا عاوزك تملئ عربيتك ناس دلوقتى ، شوف أى خط مواصلات زحمة و نادى على الناس علشان توصلهم هناك ، و أنا همشى قدامك بعربيتى و أنتى خلفى ، تفضل ما شى ورايا لغاية المكان الللى أنا رايحه ، بسرعة فورا قبل ما تروح ورا الشمس) .

إنطلق السائق فزعا ينادى على الركاب و ينفذ التعليمات و الركاب يتتارع فيما بينها على من يحجز مقعد بعد أن أعياهم الوقوف ، و أخذت المشادات تحدث بينهم ، و السائق يسب و يلعن و يأمرهم بالإسراع ، حتى أمتلأت السيارة فوق طاقتها بكثير ، و أحمد يراقب المشهد من بعيد فانشرح صدره ، و أخذ يتحرك بسيارته وسيارة الأجرة تسير خلفه حتى إنحرف عن الطريق متجها إلى مقر عمله الجديد ، فاندرفت سيارة الأجرة خلفه ، شعر ركاب السيارة بالدهشة من إنحراف خط السير ، أخذ كل واحد من

الركاب يتطلع فى عين الآخر ، منتظرا أن يسأل أحدهم السائق عن سبب تغيير خط السير المعتاد ، لكن ظل الصمت سيد الموقف ، حتى وجدوا أنفسهم فجأة يخرجوا عن الطريق الرئيسى و يتجهوا إلى أحد المبانى ذات الأسوار العالية ، عندها بدؤوا فقط فى الصياح بالسائق (إنت رايح بينا على فين ؟ !) ، فقال لهم السائق فى سخرية ممتزجة بالغضب و السخط ، لسه فاكرين تسألوا إحنا راحين على فين ، على داهية إن شاء الله .

دخل محمود إلى ساحة المبنى ، نادى على عساكر الحراسة بصوت عالى تحلقوا حوله بسرعة ، أشار بيده إلى سيارة الأجرة ، قائلا لهم ، إعتقلوا هؤلاء المجرمين مثيرى الشغب بسرعة ، فاندفع العساكر يحيطوا بالسيارة و فوهات بنادقهم ترفع فى وجه الركاب و يأمروهم بالخروج و رفع أيديهم ، و هم فى حالة من الرعب و الصدمة ، جعلت بعضهم يبلل بنطاله و قد ألجمت الدهشة و الخوف ألسنتهم ، جلس السائق فى مكانه مطمئنا ، فإذا بأحد العساكر يلكره بعنف بطرف بندقيته و يأمره بالنزول فصرخ فى الجندى ، أنا معاكم ، فالتفت العسكرى إلى محمود بيه ، ينتظر إشارته ، فقال له (ده أول كلب تعتقله !!) فأخذ الرجل يصيح و يبكى فلكزة العسكرى مرة أخرى حتى سقط على الأرض .

فجأة رن جرس الهاتف النقال ، فتح محمود بيه الخط فإذا به يجد رئيسه يسأله دون سلام (عملت إيه) ، فرد عليه مسرعا ، كله تمام يا باشا ، إحنا حاصرنا العيال بتوع المظاهرة و اعتقلنا عدد كبير منهم دلوقتى !! ، فجاءه رد رئيسه : ايوه كده يا محمود هو ده الشغل ، مستقبلك كان على المحك ، فرد عليه محمود بيه فرحا ، وسط صراخ و نجيب الركاب من حوله ، إطمئن ياباشا مصلحة البلد فوق كل إعتبار ، و كله تمام يا فندم !! .

*** كاتب و باحث**